

الخليل كان يحجّ سنةً ويغزو سنةً (١) فإننا واجدون في قصيدة الخليل ما يجعلنا نوقن بالشق الأول حين يقول في المنظومة (البيت ١٩٩) :

فتقول من يزر النبي محمداً .: يكن النبي شفيعه يا موهب
كذلك عندما تتحدث كتب التاريخ عن تقواه وعبادته وأدبه وتواضعه
وجهاده فإن ذلك معناه أنه لم يعبأ بالحياة المادية ، وأنه اهتم بخدمة الدين
والعلم يقول الدكتور مهدي المخزومي (٢) : « وكان الخليل من أهل الدين الذين
جاهدوا في سبيله ، وكان لجهاده في سبيل الدين ألوان . اصطبغ مرة
بالسياسة ، واصطبغ مرة بالعلم ، ولما لم تسعفه الظروف السياسية في كفاحه
السياسي انصرف إلى خدمة الدين عن طريق العلم ، وقد عكف على العلم
عكوف المتصوفين ، وانصرف إلى طلبه تاركاً الحياة المادية ، غير عابئ بجاه أو
منصب واعتزل في خصه مغلقاً عليه بابه » .

على أية حال يبدو أن حياة الخليل كان لها شقان :
الشق الأول من حياته كان الخليل فيه شاباً يخرج في طلب العلم يلتقى بالناس
يغزو سنة ويحج سنة ، ذا علاقات اجتماعية مختلفة ، وربما كتب بعض
غزلياته في هذه المرحلة .

الشق الثاني من حياة الخليل وهو مرحلة ما بعد ذلك ، وفيها كان الخليل راهداً
عاكفاً على علمه مفكراً في وضع وابتكار ما ابتكره من علم العروض ومعجم
العين وغير ذلك من إضافاته اللغوية الجديدة .

لكن المؤكد أن الخليل في شقّ حياته لم ينجذب إلى اللهو والعبث
والمجون كما يفعل غيره شباباً وشيوخاً ، لم تستهوه مجالس الطرب والأنس

(١) معجم الأدباء ٧٤/١١ .

(٢) اعلام العرب ٦٩ ، اتحاف الأعيان ٦٥/١ .

(٣) الخليل بن أحمد الفراهيدي ، أعماله ومنهجه ، ص ٥٠ .